

ا.د.سعاد هادي حسن الطائي
تاريخ العصر العباسي المتأخر
المرحلة الرابعة

عنوان المحاضرة :احتلال المغول لبغداد سنة
656 هـ ،ومعركة عين جالوت سنة 658هـ

بعد ان فشلت المراسلات بين الخليفة العباسي و هولاکو بدأ يمارس سياسة الضغط على الخليفة مهدداً اياه بأستمرار بقتله و احتلال بغداد.

فأضطر الخليفة الى ارسال رسله الى هولاکو مع القليل من الهدايا رغم ان القائد الدويدار نصحه بعدم القيام بذلك، غير ان الخليفة قد استهدف من ذلك هو تهديد الجيش المغولي واعطاء و مهدداً اياه من المصير السئ الذي ينتظرهم ان هم تجروا على قتحام بغداد.

الا ان محاولات الخليفة هذه قد باءت بالفشل ، و بدأ الجيش المغولي بالتحرك بقيادة هولاکو نحو بغداد ، و امر الخليفة بالمقابل قائد الجيش الدويدار بتهيئة الجيش العباسي للتصدي للغزاة ، فخرج الجيش العباسي معسكراً في جبهات بعقوبة و لكن الخطة التي اعدھا هولاکو كانت تقضي لأحكام الحصار على بغداد من جميع الجهات فبعث بجيش لتطويقها من الجانب الغربي بينما واصل هو زحفه بأتجاه الجانب الشرقي فلما سمع القائد الدويدار بعبور طلائع الجيش المغولي الى الضفة الغربية لمواجهة المغول معتقداً ان المعركة الحاسمة ستكون هناك ، و هذا الامر جعل شرق بغداد خالياً من اية تحصينات عسكرية فبدأ المغول بالزحف بقواتهم الرئيسية نحو شرق بغداد بقيادة هولاکو ، و خلال ذلك وصلت الى مسامع الخليفة بزحف المغول بأتجاه بغداد فأمر قادة جيشه بأخذ اللزوم لتحصين المدينة و مواجهة المغول الا هؤلاء رفضوا ذلك. و هذا الامر قد ساعد المغول على الوصول الى اسوار المدينة دون اية عوائق ، اما في الجانب الغربي اشتبك المغول مع جيش الدويدار محققاً انتصاراً على جيش هولاکو في اليوم الاول الا ان الدويدار تفاجأ في صباح اليوم التالي عندما رأى جيشه قد أغرق في بركة كبيرة من الماء ، بسبب حدوث بثوق في النهر، و لم يعد حينئذ امكانية القيام بعمل عسكري فغرق عدد منهم و هرب الباقون حتى ان الدويدار هرب مذعوراً الى الخليفة قاصداً عليه ما حدث و هكذا خسر الجيش العباسي معركة شمال بغداد.

. اما هولاءكو فقد ترك خانقين متوجهاً الى بغداد و حاصر جانبها الشرقي و بدأ هناك بالاستعداد للهجوم على برج العجمي.

و بعد ان ادرك الخليفة بأنه غير قادر على مواصلة القتال و الدفاع عن بغداد ، بدأ بأرسال لوفود لهولاءكو الذي اصر على ضرورة اخراج قائد الجيش الدويدار و التوجه اليه لكي يأمن من انتهاء المقاومة ، فخرج الدويدار مرغماً و امره بأخراج اتباعه الى خارج اسوار بغداد ففعل ذلك ، ثم امر هولاءكو الخليفة بالخروج فخرج مرغماً و امر هولاءكو بان يلقى جميع اهل بغداد باسلحتهم و دخلوا بذلك مدينة بغداد ثم امر هولاءكو بقتل الخليفة المستعصم و العديد من اهل بيته بعد ان امره بأخراج جميع امواله الظاهر منها و المدفون.

و بعد دخول المغول الى بغداد بعث هولاءكو بوفوده الى جميع المدن العراقية بالاستسلام ، فأستسلمت له الا مدينة واسط اذ اعلن اهلها رفضهم للاحتلال فقدموا اعداد كبيرة من الشهداء قبل يقتحمها المحتلون.

. اما مدينة الموصل فكانت في الاخرى صمدت بوجه المغول لمدة سنة كاملة الا ان خزيتها من المؤن و الاقوات كان قد نفذ فطلب الملك الصالح اسماعيل الامان مضطراً فأجيب لطلبه. الا ان المغول قاموا بقتله و عدد من افراد عائلته و دخلوا المدينة سنة 660هـ و استباحوها بالسلب و النهب و القتل.

و قد غادر هولاءكو بغداد تاركاً ابن العلقمي فيها ليدبر امورها كوزير له مع 3,000 جندي مغولي و بدأ بذلك العهد لایلخاني و انتهت الخلافة العباسية.

اما حملة هولاءكو على بلاد الشام فقد كانت في شهر رمضان 657هـ بدأ هولاءكو بالتحرك للسيطرة على الشام و مصر ، و خلال مرور الجيش المغولي على المدن و الحصون في الجزيرة الفراتية مسيطراً عليها كما و حاصر حلب و قد صمدت هذه المدينة لمساعدة صاحب انطاكية و ارمينيا ، الا ان صمودها لم يطل فأضطر الى الاستسلام للمغول بعد قتال عنيف دار بين اهلها و بين جيش هولاءكو و أستبيحت لمدة 7 ايام كما استبيحت بغداد و غيرها.

و بعد هذه الاحداث لم يكن امام اهل دمشق الذين لم يكن هناك من هو مؤهل لقيادة جيشهم فأضطروا الى الاستسلام و سلموا مفاتيح المدينة لهولاكو ، و بقيت قلعة دمشق صامدة تقاوم المغول.

و اثناء ذلك وصلت لاجبار الى مسامح هولاكو بوفاة الزعيم المغولي منكوخان فتار هذا عدة مشاكل حول وراثة العرش فقرر هولاكو العودة و ترك مهام الحملة المغولية لاستكمال السيطرة على بلاد الشام و مصر الى القائد العسكري كُتبغا نوبين و قام بأرسال رسله الى سلطان المماليك في مصر فُطر يطلب منه بتقديم الطاعة و الجزية ، الا ان امراء المماليك في مصر قرروا مجتمعين ان المقاومة و التصدي هما الطريق الامثل و لا بد من احراز النصر المؤزر على المغول و ايقافهم و انهاء تماديهم و بدأوا بالاستعداد و جمع الاموال و الاسلحة و اعلنوا الجهاد لمقاتلة المغول و تقدم فُطر بالقاء خطبة امام الناس حاثاً اياهم على القتال ، و بعث بقوة استطلاعية بقيادة القائد الظاهر بيبرس لمعرفة مدى استعداد المغول و عدد قادتهم و جنودهم.

و بدأت المواجهة العسكرية بين الطرفين فحقق الظاهر بيبرس و قطز نصرهما المؤزر على الجيش المغولي قرب نهر العاصي ، فتوحدت قوى المسلمين كافة في معركة عين جالوت سنة 658هـ اذ حاصر فيها الجيش العربي جيش المغول من ثلاث جهات . و وقع القائد المغولي كُتبغا في الاسر ، و قد كان لهذا النصر العظيم اثر كبير في تشجيع المدن العربية الاخرى على الصمود و التصدي للمغول و هذا ما حصل في الموصل و ماردين و ميافارقين و غيرها.